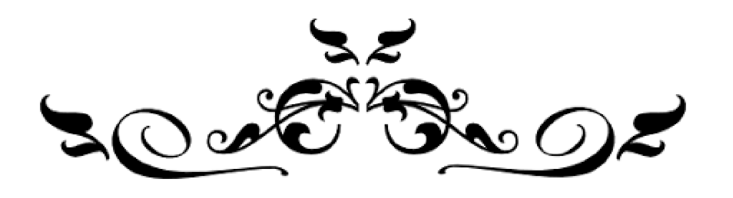


القراءات المعاصرة للقرآن الكريم (محمد أركون نموذجاً)

الدكتور: محمد محمود كالو

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

كلية العلوم الإسلامية بجامعة أديامان التركية



القراءات المعاصرة للقرآن الكريم (محمد أركون نموذجاً)

أ.د. محمد محمود كالو*

الملخص:

لقد انتشرت الأقلام المسمومة في الفترة الأخيرة والتي تطعن في دين الله تعالى تلميحاً وتصريحاً، وذلك إما بتحريف معانيه، أو بقلب مقاصده، أو بمحاولات يائسة في فهمه على غير الوجه المراد، ومنهم من اجتزأ بعض أحكامه تشويهاً، وقد جاء هذا التشويه من كُتّاب كبار في نظر الناس، ولكن ليس لهم حظ من العلم الشرعي، فوقعوا في دهاليز الطامات، مدفوعين في ذلك بما يحملون من رواسب الثقافة الغربية الغريبة، وصراعها مع الدين، منهم محمد أركون الذي ينطلق في دراسته من منظور علماني ذاهبًا إلى أنه ليس ثمة فرق بين الأديان الوثنية وأديان الوحي، وأهم شرط في قراءة أركون يتمثل في نزع القداسة عن النص القرآني، وهذا البحث يستقرئ معظم ما كتبه أركون عن القرآن الكريم ثم يتبعه بنقد لمنهجه وتحليلاته.

الكلمات المفتاحية: القراءات المعاصرة، نقد، أركون، التأويل، النص الديني.

Abstact:

Poisoned pens have increased in the recent period which challenge the religion of God Almighty implicitly and explicitly either by distorting its meanings, or by overturning its intentions, or by desperate attempts to understand it in a manner other than what is intended. Some of them excluded some of its rulings as a distortion, and this distortion came from great writers in the eyes of the people, but who have no share of legal knowledge. So they fell in wrong alleys, driven by what they carry from the sediments of the strange Western culture, and its conflict with religion. Among them is Muhammad Arkoun, who proceeds with his study from a secular perspective, stating that there is no difference between pagan religions and religions of revelation. The most important condition in Arkoun's reading is the de-sanctification of the Qur'an text. This research examines most of what Arkoun wrote about the Noble Qur'an and then follows it with a critique of his methodology and analyses.

Key Words: Contemporary Readings, Critique, Arkoun, Explanation, Religious text

مقدمة

لقد انتشرت الأقلام المسمومة في الفترة الأخيرة والتي تطعن في دين الله تعالى تلميحاً وتصريحاً، وذلك إما بتحريف معانيه، أو بقلب مقاصده، أو بمحاولات يائسة في فهمه على غير الوجه المراد، ومنهم من اجتزأ بعض أحكامه تمويهاً وتشويهاً، وقد جاء التشويه والتمويه من كُتاب كبار في نظر الناس، ولكن ليس لهم حظ من العلم الشرعي، فوقعوا في دهاليز الطامات، مدفوعين في ذلك بما يحملون من رواسب الثقافة الغربية الغريبة، وصراعها مع الدين، رغم إقرارهم بوجود خصائص ومزايا في الدين الإسلامي غير موجود في أي دين آخر.

ولعل واجب الوقت يدعوني وأمثالي إلى النظر في هذه القراءات المعاصرة للقرآن الكريم لتمييز صوابها من خطئها، عوضاً عن رمي أصحابها بالضلال والزندقة، وخاصة إذا كان كثير من النخب المثقفة، والجاهلة بأمور الوحي والدين تستهويها مثل هذه الطروحات والمشاريع.

إن مصطلح القراءات المعاصرة مصطلح جديد، يمكن اعتباره سلاحاً ذو حدين، فقد يراد به الإساءة إلى القرآن الكريم والدين باسم التجديد والتقدم، من باب قلب الحقائق وتشويهها، وقد يراد به بعث الهمم واستنهاض العزائم، للخروج من الواقع المرير الذي تعيشه أمة الإسلام هذه الأيام، فليعلم المسلم أنه ليس كل جديد يؤخذ، ولا كل قديم ينبذ، فإذا كانت وفق الضوابط والقواعد المقررة، تكون نافعة ومفيدة، بل لا بدَّ منها، وهي حاصلة في هذه الأمة بحمد الله تعالى، ولم تزل الدراسات القرآنية والحديثية والمجامع الفقهية، ودور البحث العلمي، والمؤتمرات الدولية في مختلف أصقاع العالم الإسلامي الكبير تبلي بلاء حسناً في هذا المضمار، وإن كان الأمر يتطلب مزيداً من الجد والجهد والاجتهاد.

إلا أن بعض المثقفين في العالم الإسلامي تأثروا بنهج الحداثة وحاولوا إسقاط نظرياتها على قراءة النص الشرعي وتعاملوا بها مع الوحي القرآني كما لو أنه نص بشري، معرضين بذلك عن المنهج العلمي الإسلامي، القائم على الرؤية المقاصدية، فكان الغرب أكثر احتراماً لتراثه، حيث لم ينتقدوا تراثهم كما انتقد حداثيو المسلمين تراثهم[1].

---

* أستاذ التفسير وعلوم القرآن في كلية العلوم الإسلامية بجامعة أدیامان التركية، البريد الإلكتروني: mkalu@adiyaman.edu.tr

[1] يوسف، عبدالسلام محسن، تأويلات الحداثيين لآيات الأحكام حد السرقة أنموذجاً"، اسطنبول، SonÇAG، 1442هـ2020م: 31.

ولكن أصحاب هذه القراءات قصدوا بها: "استخدام النظريات الحديثة في تأويل القرآن الكريم"[1]، فهي كتابات تمشي في اتجاه التحلل من كل الالتزامات والقيم والمبادئ والشرائع، وتحلل للناس ما حرَّم الله عز وجل، وتقول في كتاب الله بغير علم، فالآيات تلوى أعناقها، وتختزل بل تعتصر، لكي يستخرج منها بعض ما يلتقي مع هذه الوافدات الفكرية الجديدة، كما يقرر أحدهم بأن "كل مفكر جدير بلقبه أن يمارس التفكير بطريقة مغايرة للذين سبقوه، إذا لم يشأ أن يكون مجرد شارح مبسط، أو تابع مقلد، أو حارس مدافع عن العقيدة والحقيقة والتفكير بصورة مغايرة، يعني أن نبدل وننسخ، أو نحرِّف ونحوِّر، أو نزحزح ونقلب، أو ننقب ونكشف، أو نحفر ونفكك، أو نرمم ونطعم، أو نفسر ونؤول..فهذه وجوه للتفكير وللقراءة في النصوص"[2].

فالغاية المقصودة من هذه القراءات، هي تفريغ القرآن من مضمونه الاعتقادي والتشريعي والأخلاقي، وتحويله إلى وعاء فارغ مهيأ لكل ما يمكن أن يلصق به من المعاني والأفكار.

أما الحوافز والدوافع التي دعت هؤلاء المؤولة إلى هذه القراءة الجديدة المعاصرة للنص الديني فمختلفة:

1. منهم المؤمن فاقد المعرفة الشرعية، لا يقرأ إلا لأصحاب هذا الاتجاه، فيتأثر بهم ويجاريهم.
2. ومنهم المرتد الذي يجد ضالته في تلك القراءات ويتبنى مقولاتها.
3. وهناك المبهور ببريق آرائهم الخلّاب، وبنزعة التطور والتقدم.
4. وهناك المتألم من واقعه المتخلف فيرى في هذه القراءة حبل النجاة.
5. وهناك المتأثّر بشبهات المستشرقين التي ما لبثوا يبثّونها، فأصبحوا أتباعاً مخلصين لهم.
6. وهناك من تستهويهم الشهرة، فيركبون هذه الموجة الجديدة يتبنون مقولاتها ثم يسهمون في إذاعتها دراسة وتأليفاً وخطابة.
7. وهناك من يعتنق آراء مسبقة فيروم أن يؤول النصوص ويلوي عنقها لتسعفه بالدليل الداعم لآرائه.
8. وهناك من له موقف مناوئ من التراث عموماً، ووجد في قراءته متنفساً وانسجاماً مع موقفه وإخلاصاً له.
9. وهناك من ينهزه أكثر من داع من الدواعي المشار إليها.

---

[1] كالو، محمد محمود، القراءات المعاصرة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير، دار اليمان، سورية، الطبعة الأولى، 2009م: 56.

[2] حرب، علي، نقد النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الرابعة، 2005م: 133.

10.وهناك من يطلب رضا السلطة السياسية المنحرفة، لتحصيل مركز نفوذ، أو رفع مستوى مادي.

11.دعوى تقديس العقل، بل إخضاع الدين للعقل، وجعل العقل أساساً للتشريع.

12. عدم كفاءة من يتصدّى لتفسير القرآن الكريم، إما لضعف التحصيل العلمي، وإما عدم اعتماد المراجع والمصادر الأصلية، فلا يعتمدون على القرآن والسنة، بل يأخذون علمهم من كتب التاريخ والأدب مثلاً.

إن اختلاف الرأي حق مشروع في ديننا، ومن حقنا أن نرد عليهم، ونفنّد ما يقولون، وقد كانت هناك عشرات الفرق التي عاشت في المجتمع الإسلامي، وكتاب الملل والنحل للشهرستاني سجل مليء بآراء تلك الفرق، لم يضق المسلمون ذرعاً بتلك الفرق، ولكنهم بيّنوا أخطاءها، وكشفوا زيوفها، ولا تعدو مجمل الآراء والأفكار التي يطرحها أصحاب القراءات المعاصرة اليوم إلا أن تكون ظلالاً لآراء تلك الفرق، ومنها أصداء لأفكار بعض المستشرقين والملحدين، وها هو أحدهم يصرح من أن "تَقَدُّم الدراسات القرآنية قد تم بفضل التبحّر الأكاديمي الاستشراقي منذ القرن التاسع عشر"[1]، ولهؤلاء المستشرقين أساليبهم في تلبيسهم على المثقفين: كالحياد المصطنع، والموضوعية العلمية، وقد كشف ذلك بعض من كان مغتراً بهم، وتبيّن له زيفهم حين قال: "بداية من منتصف القرن التاسع عشر يبذل هؤلاء المستشرقون كل ما في وسعهم ليبدوا موضوعيين في كتاباتهم، وفي جعل كتاباتهم أكثر دلالة وأكثر جدية وموضوعية، وأكثر تدقيقاً في المنهج اللغوي، لكن دون فائدة، ذلك لأن الدوافع الداخلية التي تضطرم بالحقد في قلوبهم ضد الإسلام وكتاب الإسلام المقدس ونبي الإسلام ظلت كما هي بل ازدادت تأججاً"[2].

ونحن لا نضيق ذرعاً بالاختلاف مع هؤلاء، وإنما نريد أن نبين الحق ناصعاً، وقد اخترت نموذجاً من أبرز الداعين إلى تطبيق القراءات الجديدة عبر الألسنيات المعاصرة في قراءة القرآن الكريم، ألا وهو محمد أركون المعروف بمؤرخ الفكر الإسلامي، ورغم ذيوع صيته فإن الباحث يلاحظ:

- كثرة المقالات عنه، والتي لم تتجاوز الوصف إلى مرحلة الشرح، وهي إما ممجدة بغير دليل علمي أو منتقدة تصل إلى حد التكفير من غير وعي وفهم.

---

[1] أركون، محمد، الفكر الأصولي واستحالة التّأصيل: نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، 1999م: 70.

[2] بدوي، عبد الرحمن، دفاع عن القرآن ضد منتقديه، ترجمة: كمال جاد الله، الدار العالمية للكتب والنشر، د. ت: 7.

- ظهرت كتب خصصت بكاملها لفكر محمد أركون، منها:

1- العقل الإسلامي أمام تراث عصر الأنوار.. الجهود الفكرية والفلسفية عند محمد أركون، للمستشرق الهولندي رون هاليبر، 2001م.

2- محمد أركون ناقد معاصر للعقل الإسلامي، أطروحة دكتوراه للمستشرقة الألمانية أرزولا غونتر، 2004م.

3- نقد العقل الإسلامي عند محمد أركون، للكاتب التونسي مختار الفجاري، 2005م.

4- الأنسنة والتأويل في فكر محمد أركون، أطروحة دكتوراه قُدِّمت في جامعة منتوري بالجزائر، لمصطفى كيحل، 2008م.

5- الظاهرة القرآنية عند محمد أركون: تحليل ونقد، للدكتور أحمد بوعود، 2010م.

6- قراءة النص الديني عند محمد أركون، عبدالمجيد خليقي، 2010م.

7- القراءة الأركونية للقرآن: دراسة نقدية، أحمد فاضل السعدي، 2012م.

8- القراءة الحداثية للقرآن الكريم، محمد أركون أنموذجاً، أطروحة دكتوراه قُدِّمت في جامعة الجيلالي اليابس/ سيدي بلعباس، لهند بلمهوب، 2015م.

لقد قصد أركون الوصول إلى جملة من الأهداف، أهمها:

الهدف الأول: السعي لضرب الإسلام بالإسلام، بواسطة جملة من الوسائل، منها: الدعوة إلى تجديد الإسلام وعصرنته. والتشكيك في ثوابت الإسلام، ونشر شبهات المستشرقين والعلمانيين حوله، وتكوين نخبة مثقفة من أبناء المسلمين ليكونوا بوقاً للفكر الغربي في الشرق والغرب معاً، والتظاهر بالحرص على تجديد الفكر الإسلامي منجهة، والعمل على طمسه وتحريفه من جهة أخرى، مع تفريغه من محتواه[1].

ولقد أثبت الدكتور اللاوندي تصريحات بدوي في كتابه (عبدالرحمن بدوي فيلسوف الوجودية الهارب إلى الإسلام) وهو يصف أركون بأنه:

---

[1] الراشد، رائد أمير عبد الله، إشكالية الخطاب العلماني في التراث العربي الإسلامي أركون نموذجاً، مجلة دراسات إسلامية معاصرة، كلية العلوم الإسلامية، كربلاء، العدد الأول، 1/1/2010م: 8، وأركون، محمد، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل: 350.

"ليس أكثر من تلميذ في مدرسة الاستشراق الاستعمارية الكبرى التي تضع نصب عينيها كهدف ثابت تشويه الإسلام والإساءة إلى نبيه، والطعن في قرآنه المجيد، ثم هو يحيط نفسه بمزاعم معرفية لا أساس لها..ما أعلمه علم اليقين أنه جنى على الفكر العربي جناية لا تغتفر، وإذا لم تصدقني فإليك المقدمة التي كتبها لترجمة (كازيمسكي) للقرآن الكريم التي أشهد أنها حَوَت أخطاء ومغالطات تكاد لا تغتفر لدارس مبتدئ في تاريخ الفكر الاسلامي"[1].

والفيلسوف البدوي الموسوعي هذا يسميه أركون نفسه «بالعلامة» ويعترف قائلاً: "أعترف أيضاً وبمنتهى الصدق بأنني أخافه وأخشاه وأرتعد منه كغيري من الناس"[2] !

والهدف الثاني: هو الدعوة إلى العلمانية بين المسلمين، وعلمنة الإسلام نفسه، باستخدام مختلف الوسائل الممكنة، حتى أنه يزعم ويُصِر على زعمه بأن في الإسلام علمانية لاتُضاد الدين، وعلمانية تفصل بين الديني والسياسي في الإسلام، دون أن يُقدم أي دليل من القرآن الكريم، إلا إتباع الظن والهوى. حتى أنه كتب بحثاً عنوانه: نحو ممارسة علمانية للإسلام[3]، لم يأتِ فيه بأي دليل صحيح، إلا إتباع الظن وترديد الشبهات، مع تجاهله التام لحقيقة الإسلام الكبرى المتمثلة في أنه والعلمانية نقيضان لا يجتمعان[4].

وقد تناولت هذه الدراسة تحت عنوان: القراءات المعاصرة للقرآن الكريم: محمد أركون نموذجاً، والتي قسمتها بعد هذه المقدمة إلى مبحثين وخاتمة شاملة لأهم النتائج.

المبحث الأول: السيرة والمشروع:

محمد أركون: ولد سنة 1928م في بلدة طاوريرت ميمون بمنطقة القبائل الكبرى في الجزائر (تيزي وزو حالياً)، من أسرة بربرية غنية، ذات سمعة جيدة، تنحدر من منطقة قسنطينة، قضى طفولته ومراهقته في طاوريرت، وبدأ يتعلم اللغة الفرنسية

---

[1] اللاوندي، سعيد، عبدالرحمن بدوي فيلسوف الوجودية الهارب إلى الإسلام، مركز الحضارة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2001م: 55.

[2] المصدر السابق: 56.

[3] أركون، محمد، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، الطبعة الثانية، 1996م: 294.

[4] الراشد، رائد أمير عبد الله، إشكالية الخطاب العلماني في التراث العربي الإسلامي أركون نموذجاً: 8.

وعمره سبع سنوات في الدراسة الابتدائية، ومنذ ذلك الحين بدأ يعيش الصدمة المريرة بسبب تشرّبه لثقافة أخرى غير ثقافته الأصلية.

أما على مستوى التديّن؛ فيصف أركون إسلام أسرته أنثروبولوجياً بأنه يحمل ملامح من الإسلام فهناك صلوات وصيام، وقد ذهب إلى الحج بصحبة أمه، إلى ينابيع غازية نسب لها الناس أرواحاً؛ حيث زار أشجار الزيتون الضخمة التي تسكنها الأرواح لتلمس البركة، ويعبر أركون عن إسلام مجتمعه البربري بأنه إسلام خرافي سحري.

ويذكر أركون أنه ظل لا يعرف إلا اللغة الفرنسية واللغة الأمازيغية، ولم يتعلم العربية إلا بعد خروجه من منطقة القبائل والتحاقه بمدينة وهران في الغرب الجزائري، ليعمل مساعداً لأبيه في التجارة، ثم يتابع تعليمه بالمدرسة الثانوية في وهران.

ثم بدأ حياته الجامعية بجامعة الجزائر، حيث تحصل سنة 1952 على شهادة ليسانس في اللغة والأدب العربي، كما تحصل على دبلوم الدراسات العليا حول (الجانب الإصلاحي في أعمال طه حسين)، وكان ذلك أول اتصال له بالفكر العربي الحديث، كما اشتغل في التدريس بثانوية الحراش بالجزائر.

ثم انتقل إلى السوربون بباريس، حيث درس اللغة العربية والأدب سنة 1956م، وعاش أركون أيام الاستعمار ضمن مناخ من القهر والكبت والصمت، لأنه لم يكن يقدر على قول رأيه.

وفي جامعة السوربون حصل على الدكتوراه في الفلسفة عام 1968م، وتقلد مناصب تعليمية عدة، حيث عمل أستاذاً جامعياً في السوربون من 1961م إلى 1991م، وأستاذاً زائراً في برلين من 1977م إلى 1979م، ومديراً لمجلة (Arabica) ابتداء من 1980م، وعمل أستاذاً زائراً وعضواً في مجلس إدارة معاهد الدراسات الإسلامية في لندن من 1993م، وعمل منذ 2000م مستشاراً علمياً للدراسات الإسلامية في مكتبة الكونغرس في واشنطن العاصمة، وتوفي في يوم 14 سبتمبر 2010م بباريس، له مؤلفات عديدة، تضم جملة من الأبحاث ذات طابع مختلف، حيث نجده يطرح عدة إشكاليات في مجال التاريخ، والفلسفة، والسياسة، وعلم أصول الفقه، وغير ذلك، أهمها: **تاريخية الفكر العربي الإسلامي**، الذي يعتبر العمدة، حيث يقدم فيه مشروعه النقدي، **والقرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني**، يزعم فيه أنه يطبق المناهج الحديثة على النص القرآني، **والفكر الإسلامي قراءة علمية، وقضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم؟، والفكر الأصولي واستحالة التأصيل، والفكر الإسلامي: نقد واجتهاد، والعلمنة والدين، والإسلام: الأخلاق والسّياسة**، كما توجد له كتب وتصنيفات باللغة الفرنسية الإنجليزية، والهولندية، والإندونيسية.

منهجه المعتمد:

أما منهجه فإنه لا يلتزم بمنهج واحد، وإنما ينتقل من منهج لآخر، حسب طبيعة الموضوع، ويستدعي أركون من التراث التفسيري نموذج فخر الدين الرازي الذي استعان بجميع علوم عصره كعلوم اللسان وعلوم التاريخ والطب والفلسفة؛ ليكتب تفسيره (مفاتيح الغيب)، ويلجأ إلى قراءات عديدة ولكنه يصِفّها الواحدة إلى جانب الأخرى دون أن يمارس مراجعة نقدية لكل منها، وهذا ما يفعله أركون تماماً في قراءته للفكر الإسلامي، فهو يستعين بالعديد من العلوم والمناهج القديمة والحديثة معاً ويهدف إلى(تجاوز الصرامة النظرية والنزعة الاختزالية التي تلام عليها علوم الإنسان والمجتمع).

وبعد ذلك جاء اهتمام أركون بمنهجية الألسنيات وهي المنهجية التي عرفت صعوداً في الستينات من القرن الماضي مع أعمال سوسير وجاكسون وبنفينيست.

ويضاف إلى ذلك المنهجية الأنتربولوجية لتحليل الكثير من الظواهر من مثل ظاهرة التقديس، وغيرها من الظواهر الملازمة للمجتمعات.

مشروع أركون ومرتكزاته:

لقد حظي عدد من المفكرين العرب باهتمام لدى الأوربيين، ولكن لم يمنحوا كلهم ما حظيه محمد أركون، وذلك لأنه كان يتميز عليهم بسعة الاطلاع على التراث العربي والإسلامي والغربي الأوربي، فالثقافة الموسوعية لم تتح لكثير من أقرانه، كما تميّز بنقد كل ما هو بدهي أو معقول أو مقدس، ويشتمل مشروع أركون الفكري على عنصرَيْ الحداثة والعلمانية.

والحداثة مصطلح غير واضح المعنى، إذ ليس له ضوابط ولا معايير، ويختلف مفهومه باختلاف المجتمعات ونظمها[1]، ويرى أركون أن المصالحة بين الحداثة والإسلام لا تتحقق إلا بغربلة نقدية شاملة للموروث القديم، على غرار أوروبا قياساً إلى أصوليتها المسيحية[2].

---

[1] ضاهر، محمد كامل، الصراع بين التيارين الديني والعلماني في الفكر العربي الحديث، دار البيروني، بيروت، 1994م: 12.

[2] أركون، محمد، الهوامل والشوامل حول الإسلام المعاصر، ترجمة هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، 2010م: 21.

ويقول أركون عن منهجه: "أنا مدرّس علماني يمارس العلمنة في تعليمه ودروسه، وهذا يشكل بالنسبة لي نوعاً من الانتماء والممارسة اليومية في آن معاً. أودّ أن أقول ذلك أمامكم منذ البداية، لأنه يمكن أن يعتقد بعضهم بأنني لا يمكن أن أكون ضمن خط العلمنة بسبب انتمائي الإسلامي"[1].

وهناك تناقض للعلمانية في ترجماتها المختلفة، بحسب مرجعية كل باحث، ووقد استعمل هذا المصطلح لمواجهة سلطة الكنيسة في المجتمع، ووظِّف في سياق تطور المجتمع الأوروبي في مجال نقد الدولة الدينية، بوصف أن العلمنة وسيلة للخلاص من بطش سلطة الدين[2]، بل قال أركون: "فالعلمنة كما نفهمها تتركز في مجابهة السلطات الدينية التي تخنق حرية التفكير في الإنسان ووسائل تحقيق هذه الحرية"[3]، إذ قامت الثورة الفرنسية لما ضيّقت الكنسية على العلماء واضطهدتهم، أما الإسلام فقد دعا إلى العلم والبحث العلمي من أول كلمة في الوحي (اقرأ) أي تعلَّمْ، ولم يواجه البحث العلمي أي عقبة في الميدان الإسلامي.

العلمانية تحتل مساحة مهمة في مشروع أركون الفكري؛ لأنه يعُدُّها شرطاً أساسياً للوصول إلى الحداثة، والحداثة ترفض تدخّل الدين في الحياة المدنية العامة وكذلك رفض اعتبار الدين معياراً للأخلاق[4]، بل يَعُدُّ أركون العلمنة "موقفاً للروح، وهي تناضل من أجل امتلاك الحقيقة أو التوصل إلى حقيقة"[5].

كما اتخذ أركون من أيديولوجيا العلمنة استراتيجية لنقد الإسلام، تقوم على انتهاك التفكير في المقدس، والزحزحة لمسلَّمات العقل الإسلامي، للتجاوز به إلى الحداثة، زاعماً أنه يريد تحرير الإسلام، "كل أعمالي النقدية المتركزة على تحليل العقل الإسلامي تهدف إلى تحرير الإسلام من الهموم السلطوية والمادية والدنيوية المباشرة"[1].

---

[1] أركون، محمد، العلمنة والدين: الإسلام، المسيحية، الغرب، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1996م: 9.

[2] الطوالبة، محمد، المنظور التأويلي في أعمال محمد أركون، رسالة دكتوراه في الجامعة الأردنية، نوقشت عام 2012م: 25، والعروي، عبد الله، مفهوم الدولة، المركز الثقافي العربي، الدر البيضاء: 91.

[3] أركون، محمد، تاريخية الفكر العربي الإسلامي: 294.

[4] الطوالبة، محمد، المنظور التأويلي في أعمال محمد أركون: 17.

[5] أركون، محمد، العلمنة والدين: الإسلام، المسيحية، الغرب: 10.

ويرى بعض الدارسين أن مصطلح العلمانية يعني دنيوياً غير ديني، وهذه التفرقة مسيحية لا وجود لها في الإسلام[2].

فيطمح أركون إلى إحداث التجديد عبر مشروعه في نقد العقل الإسلامي، والتنظير لثالوث التغيير: الأرخنة، والأنسنة، والعلمنة، وبتطبيق اللا مفكر فيه.

فقد تقدم أركون ببحثٍ إلى مؤتمر علمي عقدته (منظمة تقدم الدراسات الإسلامية) بباريس عام 1974يقول فيه: "أريد لقراءتي هذه أن تطرح مشكلة لم تُطرَح عملياً قط بهذا الشكل من قِبَل الفكر الإسلامي، ألا وهي تاريخية القرآن الكريم، وتاريخية ارتباطه بلحظةٍ زمنيةٍ وتاريخية معينة"[3].

ويعتمد أركون في توثيق أرائه ضمن مؤلفاته على المراجع الأجنبية التي لا علاقة لها بالعربية ولا بالإسلام، وهذا خطأ منهجي عند أركون في ممارسته للكتابة العلمية، حيث لم يلتزم فيها بالمنهجية الصحيحة في دراساته عن الإسلام وأهله، وكان اعتماده الأساسي على المراجع الاستشراقية غالباً، وإهماله للمصادر الإسلامية كلية تقريباً، ففي أحد فصول كتبه يقتبس أكثر من ثلاث وعشرين مرجعاً أجنبياً، إما نصاً أو إحالة عليه، واثنتين وعشرين مقالاً أجنبياً، وجميع المجلات العربية هي مجلات الحداثيين[4].

وهذا ما يؤكده هشام شرابي قائلاً: "شئنا أم أبينا يستمد هذا الفكر العلماني النَّقَّاد مفاهيمه ومصطلحاته وأبعاده من التجربة الأوربية للحداثة بمفهومها الشامل"[5].

ومنهج أركون يشتمل على المنهج التاريخي، والمنهجية التأويلية، والعلوم الاجتماعية الأوربية الحديثة[1].

---

[1] أركون، محمد، الإسلام، أوربا، الغرب: رهانات المعنى وإرادات الهيمنة، ترجمة: هاشم صالح، بيروت، دار الساقي، الطبعة الثانية، 2001م: 203.

[2] العيسمي، شبلي، العلمانية والدولة الدينية، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد، 1986م: 13.

[3] أركون، محمد، الفكر الإسلامي قراءة علمية، ترجمة هاشم صالح، المركز الثقافي العربي ومركز الإنماء القومي، بيروت، الطبعة الثانية، 1996م: 212.

[4] أركون، محمد، تاريخية الفكر العربي الإسلامي: 43.

[5] شرابي، هشام، النقد الحضاري للمجتمع العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، 1990م: 23.

ويتمثل الهاجس الأركوني في "تفكيك النص القرآني، والتراث التفسيري لتعرية آلياته في الحجب، والتحوير، والتحويل، وخرق الممنوعات التي سادت فيما مضى، وتسود اليوم، والتي أقصت كل الأسئلة التي كانت قد طرحت في المرحلة الأولى التأسيسية للإسلام، ثم أقفلت وأغلق عليها بالرتاج[2].

والتراث عند أركون يعني القرآن الكريم والسنة النبوية وما له علاقة بالعلوم الإسلامية، إذ يرى أن التراث بما في ذلك القرآن الكريم مجرد مجازات عالية تتكلم عن الوضع البشري، وهذه المجازات لا يمكن أن تكون قانوناً واضحاً كما هو الحال مع الأناجيل[3].

ويركز أركون على التفريق بين الصيغة الشفوية والنسخة الكتابية للقرآن، ويدعي أن قداسة القرآن حدثت نتيجة لأسباب سياسية وثقافية وتلاعبات فكرية، وأن هذه التلاعبات لا يمكن كشفها وتبيين زيفها إلا من خلال النقد، إذ يطمح الخطاب الأركوني إلى نزع هالة القداسة عن الوحي، وينظر إلى القرآن على أنه حدث واقعي مرَّ بمراحل تأويلية وعمليات الحذف والانتخاب والتلاعبات اللغوية قبل أن يصل إلى المرحلة الكتابية، ولا بد من دراسته بوصفه نصاً لغوياً ومنتجاً ثقافياً دون أي اعتبار لبعده الإلهي[4].

فيرى أركون بأن رحلة المعنى تشكل عدة خطابات متداخلة، فكل عملية نقل تشكل خطاباً مستقلاً له آلياته وخصائصه في إنتاج المعنى فيقول: هناك الناطق الأول، ويعني به (الله) ﷻ، وهناك الناطق الثاني، ويشير به إلى الوحي، وهو الذي ينقل قصد الأول إلى النبي، وهناك الناطق الثالث، ويقصد به النبي ﷺ، الذي ينقل بدوره قصد الوحي إلى المتلقين من جمهور الصحابة

---

[1] أركون، محمد، قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم؟، ترجمة: هاشم صالح، بيروت، دار الطليعة، الطبعة الثالثة، 2004م: 188، الطوالبة، محمد: 22.

[2] أركون، محمد، الفكر الإسلامي: نقد واجتهاد، (فيصل التفرقة إلى فصل المقال)، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، الطبعة الثانية، 1992م: 31.

[3] أركون، محمد، تاريخية الفكر العربي الإسلامي: 299.

[4] الطوالبة، محمد، المنظور التأويلي في أعمال محمد أركون: 23.

الذين عاصروا الرسول الكريم[1]، فليس النص الديني هو النص التأسيسي، بل هو نص ثانوي نُسِج، وما زال ينسج حول النص المقدس.

وإذا كان أركون "يعلن بأن القرآن ذو شقين: شفهي وكتابي فإن هذا المخطط يبين أنه يضيف قرآناً ثالثاً: الأول في اللوح المحفوظ، والثاني قرآن شفهي اندثر وانمحى، والثالث هو المصحف المحرَّف الباقي عند الناس"[2].

كما يحاول أركون زحزحة مسألة الوحي من أرضية الإيمان العقائدي، وينوّه إلى أن مصطلح أهل الكتاب هو مصطلح قرآني، وأنه اخترع (شخصياً) هذا المصطلح (أم الكتاب/الكتاب) وقد بلوره بشكل كامل[3].

ويلاحظ أن أركون قلق من اهتمام المسلمين المفرط بالقرآن الكريم، فيقول: "الكتاب في العالم الإسلامي يشغل كل الرؤوس ويردّ كل المناقشات، ويسيطر على كل الحجج والمحاجات، ويغذي كل أنواع الآمال، ويبررون باسمه أفظع أنواع الأعمال المتطرفة، ويضحون من أجله- أو من أجل ما يفهمونه منه- بالأرواح والنفوس، إنه جزء لا يتجزأ من الفرد المسلم... لكن الكتاب على الرغم من هذه الهيمنة التي تكاد تبدو للوهلة الأولى كلية يعاني من تحديات كثيرة، فهو قد أصبح مغموراً بالكتب الأخرى المنهالة على المجتمعات الإسلامية من كل حدب وصوب، وهي كتب دنيوية علمية أو علمانية لا علاقة لها بالكتاب، بل تحاول أن تحدَّ من تأثيره أو تحل محله (كما حصل في أوربا)، بل أكثر من ذلك فإن وسائل الإعلام الحديثة قد أصبحت تغزو العالم بسيل من الصور والإشارات المعلوماتية إلى درجة أن بعضهم يقول الآن بأننا انتقلنا من حضارة الكتاب (التي أصبحت كلاسيكية قديمة) إلى حضارة الصورة وأجهزة الفيديو والمعلوماتية"[4]، هذا القلق من أركون"يوحي باعتراف ولو ضمني بوجود صحوة إسلامية، لكنه يستدرك بأن هذا الاهتمام سوف يقل أو يخف تدريجياً لهيمنة كتب أخرى دنيوية (علمية وعلمانية...) عدا عن هيمنة ثقافة الصورة والإلكترونيات، والظاهر أنه تناسى أن القرآن منذ ظهوره في بيئة مكة قبل خمسة عشر قرناً

---

[1] أركون، محمد، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟، دار الساقي، بيروت، 1993م: 127-128.

[2] بلهيوب، هند، القراءة الحداثية للقرآن الكريم، محمد أركون أنموذجاً، أطروحة دكتوراه قدمت في جامعة الجيلالي اليابس/ سيدي بلعباس، 2015م.: 168.

[3] المصدر السابق: 170.

[4] أركون، محمد، الإسلام، أوربا، الغرب: 22.

واجه تحديات كثيرة منها: هيمنة الشرك في البيئة التي نزل فيها، إضافة إلى وجود ديانات أخرى (النصرانية، اليهودية، الوثنية...) غير أنه بقي صامداً وانتشر في أصقاع الأرض وبقي إلى يومنا هذا"[1].

وارتكزت آليات التأويل لدى أركون على مفاهيم عديدة، منها مفهوم الأسطورة، حيث دعا إلى إعادة الاعتبار للفكر الأسطوري مع تبيان الوظائف النفسية والاجتماعية والثقافية لذلك المفهوم، وطالب بأن يكون كل تأويل للتراث واعياً بدور العامل الأسطوري في تشكيل بنية العقل الإسلامي.

واختار أركون للإعجاز تسمية جديدة هي (العجيب المدهش)، وقد استقى التسمية من بيير مابي صاحب كتاب مرآة العجيب المدهش، عبر تزفتان تودوروف في كتابه مقدمة للأدب الخارق، ثم حاول التأصيل لها من عند القزويني في كتابه عجائب المخلوقات[2]، ويقول عنه: "كل ما يمكن استخلاصه من الأبحاث الجارية اليوم هو أنه يوجد بالإضافة إلى العجيب المدهش أو الساحر الخلَّاب ذي الأصل العلمي عجيب مدهش أدبي، وعجيب مدهش ديني مرتبط بالفكر الأسطوري"[3].

كما اتخذ من المجاز آلية للتأويل، واعتقد أن الخطاب القرآني هو خطاب مجازي، يقوم على الاستعارة، والتشبيه، وضرب الأمثال، والقصص، وهذا المجاز ليس مجرد زينة لغوية، بل يجعله مفتوحاً على مختلف المعاني باعتبار أن اللغة توافقية، وهي ملك للإنسان، ومحصلة لإبداعه الاجتماعي، والإنسان ليس طرفاً متلقياً فقط، وبالتالي يسقط أركون مقولة الأرثوذكسية التي تتحدث عن أحادية المعنى (الدلالة الحرفية فقط)، ففهم المجاز بمعناه الحديث هو ما يهم أركون. فيقول: "إنّ التّركيبة المجازية للخطاب القرآني ليست فقط مجرّد تصعيد للواقع أو اعتلاء به... وليست أيضًا مجرّد حلية أدبية أو تزويق أسلوبي جذاب يظلّ مع ذلك ماديًّا ومباشرًا وذا دلالة معنوية، إنّها ليست كلّ ذلك فقط، كما أراد أن يوهمنا التّفسير الإسلامي الكلاسيكي، (وخصوصاً تفاسير الفقهاء)، وإنّما هي عبارة عن تحريك للحياة والوجود بواسطة إمكانيات اللّغة

---

[1] بلهيوب، هند، القراءة الحداثية للقرآن الكريم، محمد أركون أنموذجاً: 176.

[2] بوعود، أحمد، الظاهرة القرآنية عند محمد أركون: تحليل ونقد، منشورات الزمن، الكتّاب الثامن والعشرون، الرباط، 2010م: 147.

[3] أركون، محمد، الفكر الإسلامي قراءة علمية: 189.

الجمالية والفنية"[1]، فهو يصرّ على وظيفة المجاز المستخدم في الخطاب القرآني والدّور الذي يؤدّيه في ابتكار المعنى، وترسيخ مادّة رمزية خصبة تبدع المعنى بشكل دائم، ومن دون توقّف عند تفسير واحد محدّد،

واستخدم أركون الأسطورة والمخيال، ومفاهيم أخرى مستنبطة من العلوم والمنهجيات الأوروبية، بهدف فتح آفاق أوسع للتأويل وتحرير احتمالات المعنى من جميع أنواع السيطرة والإكراه.

ويطلق أركون اسم (المدونة النصية) على القرآن، و(المنطوقات) أو (العبارات النصية) لتدل على الآيات، و(النصوص القصيرة) لتدل على السور، ويهدف أركون من ذلك إلى تحييد القداسة عن القرآن وسوره وآياته، لأنه يريد أن يثبت أن القرآن نص لغوي كأي نص آخر[2]، فهو يساوي بين كلام الله تعالى وكلام البشر، وينفي كونه مصدراً لتشريع الأحكام، وهذا لن يخدم هدفه، "لأن القرآن وحي وأدبه معجز لا يتأثر إعجازه لا بزمان ولا بمكان، قائم إلى يوم القيامة. هذا من جهة. ومن جهة أخرى، فإن أركون لم يقدم، كعادته، دليلاً يفيد بتاريخية القرآن من داخل النص القرآني"[3].

ويدعو إلى ضرورة توظيف علم الألسنيات أو علم اللغة؛ لأنّ الخطاب القرآني"لم يكن مكتوبًا في البداية، وإنّما كان كلامًا شفهيًّا أو عبارات لغوية شفهية تنبثق على هوى المناسبات والظروف المتغيّرة، وقد استمرّ ذلك عشرين سنة"[4]، فيُفهَم من كلامه أنّ الخطاب الشّفهي (القرآن) مختلف عن الخطاب الكتابي (المصحف)، وهذا بسبب تأثّره بما جاء في الألسنيات الحديثة والأنثروبولوجيا من مفاهيم أكّدت أنّ عملية النّقل والتّكرار للكلام تؤدّي إلى التّحريف والتّحوير للحقيقة والواقع أثناء الانتقال من المرحلة الشفهية إلى المرحلة الكتابية"[5].

---

[1] أركون، محمد، الإسلام: الأخلاق والسّياسة، ترجمة وتحقيق: هاشم صالح، دار النهضة العربية للطباعة والنّشر والتّوزيع ومنشورات مركز الإنماء القومي، بيروت، 1990: 25.

[2] الطوالبة، محمد، المنظور التأويلي في أعمال محمد أركون: 121-122.

[3] بوعود، أحمد، الظاهرة القرآنية عند محمد أركون: 161.

[4] أركون، محمد، العلمنة والدّين: 83.

[5] صياد، ليندة، إعادة قراءة النص القرآني وفق مقاربات محمّد أركون، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، بتاريخ: 04/07/2014م: 13.

ويؤكد أركون ذلك فيقول: "وفي أثناء عملية الانتقال من التّراث الشّفهي إلى التّراث الكتابي تضيع أشياء، أو تحوّر أشياء، أو تضاف بعض الأشياء، لأنّ كلّ ذلك يعتمد على الذّاكرة البشرية. وهي ليست معصومة إلا في نظر المؤمنين التقليديين الذين يصدقون كل شيء. كما ويعتمد على الصراع الأيديولوجي أو التنافسات الحادة التي لا تخلو منها بدايات أي دين"[1].

ويستخدم أركون مصطلح (الظاهرة القرآنية) ويقصد بها القرآن الكريم؛ وذلك من أجل تفكيك مفهوم الوحي ونقده، كحدث شفهي يحصل لأول مرة في التاريخ، وهذا الخطاب الشفهي للقرآن نجده قد رافق الممارسة التاريخية للنبي باعتباره فاعلاً اجتماعياً[2]، قبل أن ينتقل إلى مرحلة التدوين، فالهدف من وراء ذلك وضع كل التركيبات والتشريعات على مسافة نقدية واحدة أمام الباحث العلمي[3].

ومن جهة أخرى يوظف مصطلحاً آخر موازاة مع مصطلح الظاهرة القرآنية وهو مصطلح الحدث القرآني، ويقول مبرراً هذا التوصيف: "عندما أستخدم مصطلح الحدث القرآني، فإني أغرس القرآن في التاريخية، وعندما أقول (القرآن) فإني أنزع عنه كل تاريخية كما يفعل المسلمون"[4]، وقد يعود توصيف أركون للقرآن بأنه حدث؛ لربطه بالحداثة الغربية، بحثاً عن تخريج قرآني يؤسلمها من خلاله[5].

لكن الواضح أنّ أركون غير راض عن تحليلاته السابقة، لذلك فهو يفضل استخدام المنهجية الحداثية من "المنهجيات والتحليلات الألسنية والسيميائية والتاريخية والاجتماعية والأنتروبولوجية والفلسفية في آن معاً وبشكل متضافر، وعن طريق استخدامها جميعاً نستطيع تحرير المكان وتمهيد الأرضية من أجل تأسيس فكر ديني جديد، يتجاوز التركيبات التقوية للتفسير التقليدي"[6].

---

[1] أركون، محمد، قضايا في نقد العقل الديني: 232.

[2] المصدر السابق: 186.

[3] أركون، محمد، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل: 200.

[4] أركون، محمد، الإسلام، أوربا، الغرب: 49.

[5] بلميهوب، هند، القراءة الحداثية للقرآن الكريم، محمد أركون أنموذجاً: 180.

[6] أركون، محمد، الفكر الإسلامي قراءة علمية: 100.

وهكذا أركون لا يكتفِ بغرس القرآن في التاريخية، بل يطمح إلى تأسيس فكر ديني جديد، يحذف فيه مصطلحات: النبي/ الله/ المؤمنون..، وبالتالي فهو يريد ديناً جديداً بمصطلحات جديدة، هو ثمرة الحداثة والعلمانية وعلى أرضية تاريخية تركز على الإنسان فقط[1]!

وأكد أركون على دور الواقع الاجتماعي في إنتاج المعنى والتأثير عليه، فالمعنى كمنظور أركوني هو فعل اجتماعي محكوم بالمخيال المختزن للذاكرة الجماعية، واللغة هي أداة التواصل، لأن الإنسان هو المحور الأركوني، وهو صاحب الولاية على الكون والمعنى[2].

وبهذا الإنتاج في المعاني اللامتناهية يقول أركون: "إن القراءة التي أحلم بها هي قراءة حرة إلى درجة التشرد والتسكع في كل الاتجاهات"[3].

ويقوم المنهج الأركوني على ركيزتين أساسيتين: الأولى إبستيمولوجية، والثاني نقدية، فهو يستخدم العلوم والمناهج الحديثة كالأنثروبولوجية لأنها تهتم بدراسة جذور الفكر الديني، ويعتمد على منهجيات العلوم الألسنية وخاصة في دراسة القرآن، وذلك لأنها تهتم بدراسة النص بذاته دون العودة إلى المؤلف، ويرفض أركون منهجية الفقه اللغوي، ويستخدم منهجية التفكيك أيضاً؛ لإزالة الأسطرة والفكر المتعالي كما يزعم، ويوظفها كل ذلك في دراسة ونقد التراث الإسلامي.

والركيزة الثانية عند أركون: النقد العقلي المتحرر، والنقد حسب أركون يعني عودة المرء إلى عقله لمراجعة ثوابت الفكر، وتعرية بداهاته، وتحطيم ثنائياته المصطنعة، والكشف عن أبنية قواعد اشتغاله، واقتحام المناطق غير المفكر فيها[4].

ويرى أركون أن العقل الإسلامي تكوَّن ضمن بيئة محددة زمانياً وهو غير صالح لكل زمان ومكان، لأن لكل مجتمع آليته العقلية، كما لكل حقبة آليتها العقلية، وهو بذلك يهدف إلى تاريخية القرآن، واختراق السياج القدسي، وتشكيك المسلمين في أصول الدين المتمثلة في القرآن والسنة، فهو يطالب بتحرير الدين من الاستغلال الأيديولوجي، ومن سلطة الفقهاء، الذي

---

[1] بلميهوب، هند، القراءة الحداثية للقرآن الكريم، محمد أركون أنموذجاً: 205.

[2] الطوالبة، محمد، المنظور التأويلي في أعمال محمد أركون: 141.

[3] أركون، محمد، الفكر الإسلامي قراءة علمية: 166.

[4] الطوالبة، محمد، المنظور التأويلي في أعمال محمد أركون: 43.

يزعمون احتكار الحقيقة المقدسة، بتحرير النص المقدس من إكراهات الاستخدام القصري، وإعادة الاعتبار للنص واستقلاليته.

المبحث الثاني: نماذج من دراسات أركون النقدية

لقد نشر أركون دراساته النّقدية منذ مطلع السّبعينات من القرن العشرين لإعادة قراءة القرآن وتفسيره وفق مناهج النّقد الأدبي الحديث، فنشر عدّة دراسات نقدية وفق المنهج اللّساني والسّيميائي والتّحليلي للقرآن، ثم نشر جميع دراساته في كتابه الموسوم ب(قراءات في القرآن) الذي نشر سنة 1982 في باريس، ثم استلّ منه دراسات، وعمّق البحث فيها ونشرها في كتاب عنوانه: (القرآن من التّفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الدّيني) أعاد فيه قراءة لسانية لسورتي الفاتحة والكهف، وقد بيّن في مقدّمة كتابه الأخير الغاية من الدّراسة وفق هذه المناهج، والمتمثّلة في "تحليل الخطاب الدّيني أو تفكيكه، يتمُّ لا لتقديم معانيه الصّحيحة وإبطال التّفاسير الموروثة، بل لإبراز الصّفات اللّسانية اللّغوية وآلات العرض والاستقلال والإقناع والتّبليغ والمقاصد المعنوية الخاصّة بما أسميته الخطاب النّبوي"[1].

وفي مقدمة الكتاب نفسه يدعو أركون القارئ إلى عدم التّسرع وإصدار الأحكام قبل العودة لأسس المنهج اللّساني والتّفكيكي والسيولوجي ومعرفة قواعده، وكأنّه يعلم مسبقًا أنّ مشروعه هذا سيلقى نوعًا من التهجّم والرفض، "نلتمس هنا طفرة معرفية في تحليل الخطاب الديني عامّة، وهذه الطفرة لا تمسّ العقيدة في محتواها وممارستها، وإنّما تحيلها إلى مستوى أوسع ومنظومة معرفية أكثر تفتّحًا وأشمل إحاطةً، بما أضافته الحداثة العلمية من نظريات وشروح وتأويلات واكتشافات ووسائل إحقاق الحقّ والحقيقة، أقول ذلك لكيلا يسارع القرّاء (المؤمنون) إلى رفض القراءات التي أقترحها للقرآن لأنّها خارجة عن إطار ما أسميته بالتّفسير الموروث، وهناك من (يكفّر) هذه القراءات بناءً لا على ما فهمه واجتهد لإدراك مقاصد المؤلف، ولكن على أساس ما غاب عن فكره ومعلوماته إذا كان لم يكتشف بعد تعاليم اللّسانيات والسّيميائيات والأنتروبولوجيا والسّوسيولوجيا الدّينية والثقافية وعلم النفس التّاريخي"[2].

---

[1] أركون، محمد، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م: 5.

[2] أركون، محمد، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني: 7.

ويوحي عنوان كتابه أركون (القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني) بأن أركون بصدد تحليل كامل بُنْية النص، والأقرب للصواب لو أنه قال: (نصوص من القرآن منالتفسير الموروث إلى تحليل الخطاب القرآني)، لأنه استخدم نصوصاً محدودة ومتفرقة من النص القرآني كشواهد على أفكاره في تاريخية القرآن (سورة التوبة)، وفي أسطورية النص وقصصيته (سورة الكهف ويوسف).

تحليل أركون لسورة الفاتحة:

يحلل أركون قراءته لسورة الفاتحة قائلاً: "سوف نرى كيف أن نصاً متميزاً كسورة الفاتحة يمكن أن يجبرنا على فتح القراءة الألسنية بطريقة لا محدودة"[1]،

ويرفض ابتداءً جميع التفاسير الموروثة لسورة الفاتحة، وينبه بأنه لن ينخرط في الخط التبجيلي الذي سار عليه عدد كبير من المفسرين، ولكن هدفه ومقصده الأكثر بعداً وعمقاً في المساهمة بتشكيل فكر ديني منفتح عن طريق مثال الإسلام"[2]، دون أسبقيات لاهوتية ضيقة، و"سوف يعترض عليّ اللاهوتيون المحترفون فوراً زاعمين أني أريد أن اختزل كلام الله إلى مجرد مشروع أنتربولوجي مهدد بالإغراء الوضعي"[3].

ثم يعرض اختلاف العلماء حول البسملة ودمجها في سورة الفاتحة أو استبعادها، وأن التحليل الألسني يدعم موقف أولئك الذين كانوا ضد دمج الآية في الفاتحة[4]، ثم يبين قيمة السورة التعبدية، حيث تتلى في جميع الصلوات، لينتقل بعدها إلى دراسة المحددات أو المعرفات: أدوات التعريف، والتنكير، والصفات والضمائر، والنظام الفعلي والاسمي، والبنيات النحوية، وأخيراً النظم والإيقاع في نهاية الآيات ونغمة الفاصلة القرآنية، حسب المنهجية الألسنية.

---

[1] المصدر السابق: 112.

[2] المصدر السابق: 111.

[3] المصدر السابق: 111.

[4] المصدر السابق: 124.

وعلى الصعيد الأنثروبولوجي ينصَبُّ اهتمام أركون على اشتمال السورة على مرجعيات الأصل البدئي كالحياة والموت، والزمن والحب، والقيمة، والامتلاك، والسلطة، والمقدس، والعنف[1]، ويلاحظ أن (إياك نعبد) و (الصراط المستقيم) ترمز إلى الخير، وأن (المغضوب عليهم) و (الضالين) ترمز إلى الشر، وأن (الله) و (رب العالمين) ترمز إلى الكينونة المدشَّنة[2]، ثم يقول: "فالواقع أن مفردات الفاتحة وبُناها النحوية عامة جداً، ومنفتحة جداً على كافة ممكنات المعنى، إلى درجة أنهما تماران دورهما كحقل رمزي تنبثق منه وتُسقَط عليه مختلف أنواع التحديدات والمعاني"[3].

وهناك عديد الملاحظات حول قراءة أركون لسورة الفاتحة، أهمها:

1- يدَّعي بأن القرآن الكريم لم يثبت في عهد عثمان بن عفان ﷺ بل بقي الجدل في آياته ثبوتاً ونسخاً وحذفاً وسقطاً حتى القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، في اتفاق بين السنة والشيعة، لئلا تستمر المماحكة فتسقط آياته جميعها، وبهذا القيد الأول من جهته طعن في ثبوت النص[4]. وهكذا يزيل عن القرآن الكريم ثبوته النصي والحرفي والكتابي.

لقدحاول أركون بكل ماأوتي من قوة بطرح افتراضاته الواهية هذه حتى يثبت أن المصحف الذي بين أيدينا نسجته أيادي السلطة المنتصرة زمن عثمان ﷺ، وأن القرآن الحقيقي خطاب شفهي ضاع إلى الأبد، لكن الحقيقة غير ذلك بما ثبت من أدلة متواترة صحيحة، والنتيجة أن القرآن هو الخطاب الشفهي والمصحف العثماني على السواء، وهو محفوظ من قبل الله لا من قبل البشر، وما عمل سيدنا عثمان إلا اجتهاد شكلي، وجمعه للقرآن هو الجمع الثالث لا الأول، لأن الجمع الحقيقي كان زمن الرسول ﷺ، حفظاً وتدويناً دون جمعه فقط بين دفتي مصحف، والجمع الثاني كان زمن أبي بكر الصديق، ولكن أركون لم يتعرض له أصلاً ولا للروايات التي تثبت ذلك، بل لم يشر إلى كتاب الوحي، وأسماؤهم مبثوثة في جل كتب علوم القرآن، ثم لماذا لم يفرق بين التدوين والجمع، برغم أن عملية التدوين جرت في عهد النبي ﷺ وبإشرافه، ولماذا ركز على عملية الجمع

---

[1] المصدر السابق: 141.

[2] المصدر السابق: 142.

[3] أركون، محمد، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني: 143.

[4] المصدر السابق: 119.

زمن عثمان دون أن يشير إلى جمع سيدنا أبي بكر ﷺ؟ أليس ذلك رسالة مشفرة توحي بأنه يريد غرس القرآن في التاريخ، بإبعاده عن زمن الرسول ﷺ، وليفسح المجال لافتراضاته حول قوة الخط المنتصر وسيطرته على النسخة الرسمية من القرآن[1].

2- قبل أن يشرع أركون بقراءته الخاصة لسورة الفاتحة؛ ذكر المبادئ الثمانية التي تتحكم بالقراءة التفسيرية الكلاسيكية، ويُنظَر إليها على أنها مسلَّمات ضمنية أو صريحة، والمبادئ التي يريد أركون خلخلتها هي: وجود الله، وأنه تكلم مع جميع البشر باللغة العربية، وأن كلامه جُمِع في القرآن، وأن كلامه يقول كل شيء، وأن ما يقول حقيقة، وأنه يمكن معرفة الحقيقة عن طريق الاستعانة بالصدر الأول، وأن موت النبي وضعهم في الدائرة التأويلية، وأن علم النحو والبلاغة توصل إلى المعنى، ثم ختم المبادئ معلقاً: "ينبغي أن نعلم أن هذه المبادئ الثمانية قد مارست دوراً موجهاً يتحكّم بكل مجالات الفكر العربي – الإسلامي حتى مجيء عهد الإيدولوجيا الاشتراكية – الماركسية أو المتمركسة. واليوم تحصل قطيعة فعلية مع هذه المبادئ، ولكن غير مرفقة بقطيعة نظرية"[2].

3- اللافت للنظر أن سورة الفاتحة مكية، وقد تحدث أركون عن المجاز فيها، "وفي نظره مجاز لا يجوز أن يفسر بحرفيته، لماذا؟ لأنه يعالج قضايا الإيمان والعقيدة، ولهذا فهو مضطر لإخراجها عن حقيقتها حتى توافق ما يريد ويتجاوز العقائد. لكن السؤال الذي ينبغي أن يجيب عنه أركون هو الآتي: هل الآخرة، كما هي مذكورة في القرآن، مجاز؟ وما وجه المجاز فيها؟ ويمكن أن يمتد السؤال الى أن يشمل جميع أركان الإيمان وأساسيات العقيدة"[3].

4- لقد وظف أركون المنهج الألسني الذي أحال المعنى المقصود في الآية إلى معنى بعيد جداً "إن قيمة أداة التعريف مهمة جداً أيضاً في التركيبة اللغوية...إن أداة التعريف لها وظيفة التصنيف في التراكيب اللغوية التالية: الصراط المستقيم، الذين أنعمت عليهم (= المنعم عليهم)، المغضوب عليهم، الضالين. فهذه التراكيب عبارة عن مفاهيم، أو أصناف أشخاص محددين بدقة من قبل المتكلم، وقابلين للتحديد من قبل المخاطب عندما يصبح بدوره قائلاً أو

---

[1] بلهيوب، هند، القراءة الحداثية للقرآن الكريم، محمد أركون أنموذجاً: 187- 188.

[2] المصدر السابق: 121-122.

[3] بوعود، أحمد، الظاهرة القرآنية عند محمد أركون: 205.

متكلماً"، وقد ورد في هامش الكتاب ما يؤكد المعنى المراد عند أركون بأن المغضوب عليهم والضالين "تدل على أشخاص محددون بدقة في مكة، وكانوا معادين للرسالة الجديدة؛ ولكن القرآن لا يحدد أسماءهم وإنما يترك الصياغة عامة شمولية تنطبق على أعداء هذا الدين في كل زمان ومكان، وهنا تكمن إحدى السمات الأساسية للخطاب القرآني"[1].

5- النسق التأويلي أو الباطني الذي يعتبره أركون الأهم، ومن خلال ذلك يتغلغل في دهاليز الباطنيين، وأن "الحمد لله... الرحيم: هذا التعبير يحيلنا إلى علم الأصول الأنطولوجية... مالك يوم الدين: يحيلنا إلى علم الأخرويات... إياك نعبد: يحيلنا إلى الطقوس والشعائر. اهدنا الصراط المستقيم: يحيلنا إلى علم الأخلاق. صراط الذين أنعمت عليهم: يحيلنا إلى علم النبوة. غير المغضوب عليهم: يحيلنا إلى التاريخ الروحي للبشرية: موضوعات رمزانية الشر المعالجة في القصص المتعلقة بالشعوب أو الأقوام القديمة"[2].

ويتساءل منكراً: لماذا، وكيف حوَّر المفسرون التقليديون، بمجملهم، هذه اللغة الرمزية؟[3]

تحليل أركون لآية من سورة آل عمران:

ثم إن الآية الكريمة ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: 19]، بنظر أركون قد تعرّضت إلى تأويل مغلوط من قِبَل الفقهاء وعلماء اللاهوت، فكلمة (إسلام) في نظره لا تحمل بالضرورة ذلك المعنى العقائدي واللاهوتي والثقافي الذي كان قد فرض نفسه على مدار تاريخ الامبراطوريتين الأموية والعباسية. فكلمة (إسلام) في القرآن تعني الدين الأولي والشعيرة النقية والطاعة العاشقة والكلية لله، هذه الطاعة التي جُسِّدت رمزياً من قبل تلك الشخصية الأسطورية لإبراهيم في القرآن[4].

تحليل أركون لآية من سورة النساء:

---

[1] أركون، محمد، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني: 127.

[2] المصدر السابق: 142-143.

[3] المصدر السابق: 144.

[4] أركون، محمد، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، الطبعة الثانية، 1995م: 132.

كما يزعم أركونأن الآية 12 من سورة النساء ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ اعتُمِدت بعد طول نقاش من قبل التفسير الكلاسيكي، ثم فُرِضت في المصحف الرسمي منذ الطبري على الأقل[1]، ثم قال: أما القراءة التي فُرِضت في القرآن من قبل الفقهاء فهي صعبة جداً وملتوية وعسرة على الذوق اللغوي العربي[2].

تحليل أركون لسورة التوبة:

فسورة (التوبة) تمثل – حسب أركون – أفضل مناسبة لكي يعيد تقييم مفهوم الوحي عن طريق أخذ بُعْده التاريخي بعين الاعتبار، فهي لحظة انتصار الدين الجديد، وقد فرض هيمنته على المعارضين، إنها تتحدث عن أحداث واقعية حدثت بالفعل، ولكن النص القرآني حوَّلها إلى نص متعالٍ يقف"عالياً فوق التاريخ البشري، على الرغم من أنه أرسل لهدايته وقيادته على هذه الأرض، فمن خلال أسلوبها ولهجتها الجدالية الحادة، وموضوعاتها الاجتماعية والتشريعية والسياسية، وكذلك طولها، تبين لنا هذه السورة كيف أن الطائفة الجديدة الوليدة قد انخرطت بعد فتح مكة في عملية بناء المؤسسات، وهي تستطيع أن تنقض العهود، والاتفاقات الموقعة سابقاً مع الفئات المعارضة، وتفرض عليها شروطها الجديدة تحت التهديد بإشعالالحرب ضد هؤلاء المشركين الذين يرفضون شرع الله ورسوله"[3].

ويشير أركون إلى أن"سورة التوبة المرتبة في القرآن برقم (9)، فهي في الواقع تحتل المرتبة رقم (115) بحسب الترتيب التاريخي الحديث. إذن فهي تنتمي إلى المرحلة الأخيرة من القرآن وليس إلى بداياته كما يوهمنا الترتيب الرسمي"[4]؟! لكنه لم يشرح قصده من عبارة الترتيب الرسمي، فهل يقصد به الترتيب الوقفي الإلهي المأمور به، أم رميه إلى اتفاق وتواضع جماعة المسلمين الأوائل على هذا الترتيب الرسمي حسب قوله، لكن الغريب هو زعمه أن سورة التوبة تحتل الرقم (115) وهو رقم غير موجود أصلاً ولا أساس له، لأن عدد سور القرآن مئة وأربعة عشر سورة، وبهذا يكون قد أضاف سورة جديدة، أو أنه خطأ من

---

[1] أركون، محمد، من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، 1991م: 34

[2] أركون، محمد، من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي: 36.

[3] المصدر السابق: 49.

[4] أركون، محمد، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل: 147.

المترجم أو دار النشر، لكن الشيء الواضح والجلي تبنيه لرؤية ومقولة المستشرقين للقرآن ورفضه وتجنبه لما تواضع عليه المسلمون، وأبلغ دليل رأيه في ترتيب سور القرآن[1].

ويرجح أن خطأ ترقيم السورة من أركون نفسه، بدليل أنه أخطأ خطأ فادحاً وجلياً مرة أخرى، فهو يقول بأن عدد الأشهر الحرم ثلاثة[2]، والآية الثانية من السورة نفسها تبين أن عدد الأشهر الحرم أربعة، قال الله تعالى: ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ **أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ** وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: 2].

وسورة التوبة تحتوي على تسع وعشرين آية، لكن أركون لا يحلل ولا ينقد إلا الآية الخامسة فقط، لأنها تصادف هوى في نفسه لا يخالف الهوى الاستشراقي والغربي، فقد تناسى فريضة الجهاد وأبدلها بمفهوم جديد هو العنف؛ ليزيف قيم الإسلام ويخفي جوهره الصافي، فقد اختار السورة فقط ليثبت نتيجته المسبقة بأنها منتجة للعنف[3]، دون أن ينتبه إلى بقية الآيات التي تلت الآية الخامسة والتي تبين بجلاء افتراءه وكذبه على القرآن، لأن الله يصف هؤلاء الكفار والمنافقين الذين نقضوا عهدهم وميثاقهم مع الرسول الكريم ﷺ، حيث قال الله تعالى: ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ. فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. وَإِن نَّكَثُوا أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ. أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: 9-13].

وبعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر (11/09/2001) ألّف أركون كتابه: (من منهاتن إلى بغداد) وهو في الأصل حوار ونقاش دار بينه وبين جوزيف مايلار (: 1948Joseph Maila né) حول هذه الأحداث وتبعاتها، وكانت له وقفة عند سورة التوبة، بحكم أنها تتحدث "صراحةعن الوظيفة السياسية الدينية للمثلث الأنثروبولوجي (عنف/ مقدس/ حقيقة)، خاصة **آية السيف**، فهي أكبر دليل يوضح موضوع العنف الذي يحمله مفهوم (الدين الحق) الموظف في القرآن، كما أن مجمل آيات

---

[1] بلميهوب، هند، القراءة الحداثية للقرآن الكريم، محمد أركون أنموذجاً: 196-197.

[2] أركون، محمد، الفكر الأصولي واستحالة التأصيل: 147.

[3] بلميهوب، هند، القراءة الحداثية للقرآن الكريم، محمد أركون أنموذجاً: 199.

السورة تقول ما معناه: ياخلائق الله في الأرض عليكم أن تشهروا الحرب في كل مرة تتعرض فيها للتهديد، هذه الحقيقة المنزلة والمعهود بها كأمانة تحت إدارة البشر"[1].

هذه هي الصورة التي يقدمها مجدّد الفكر الديني(محمدأركون) عن الإسلام ويروّجها في العالم الغربي في محاضراته ودروسه ومؤتمراته وحواراته، إن الإسلام هو دين الإرهاب والذي يولد أجيالاً من الحركات المتطرفة، وكل هذا العنف لم يكن من لدن البشر وأهوائهم، إنما مصدره الأصيل هو(القرآن)، ومقياسه هو سورة التوبة، التي قرأها مرة واثنتين وأكثر لتأكيده زعمه، لأنه من عمى قلبه لم يجد في الإسلام ولا في القرآن ولا في شريعة الرسول ﷺ وفي رسالته البشرية أي تسامح أو عدل أو دعوة للسلم والإخاء والرحمة، إنما وجد بذور العنف التي يحصد العالم ثمارها اليوم[2]!

تحليل أركون لسورة الكهف:

ثم يحلل أركون سورة الكهف لاشتمالها على ثلاث قصص مغروسة عميقاً في الذاكرة الجماعية العتيقة للشرق الأوسط[3]، مدعياً أن طبيعة الخطاب الشفوي للنص القرآني هو الذي سوغ استخدام الأسلوب القصصي أو الحكاية لأنه أسهل للتداول، والأكثر غنى بالنتائج الملموسة، وأقرب إلى نفوس المستمعين، حيث تتناسب بشكل ممتاز مع الأطر الاجتماعية للمعرفة والتي كانت سائدة طيلة القرون الثلاثة الأولى للهجرة، كما أن القصص والحكايات أو المعلومات، أو المعارف تعتبر نموذجاً للتعبير عن الفكر الأسطوري، "يكفي أن نذكر بذلك لكي نقيس حجم أهمية القصة والدور الذي تلعبه في تشكيل الرؤية التاريخية – الأسطورية. وهي الرؤية التي شكلتها أجيال المسلمين الأوائل عن نفسها ثم ورَّثتها للوعي الإسلامي اللاحق حتى يومنا هذا"[4].

---

[1] أركون، محمد- مايلار، جوزيف، من منهاتن إلى بغداد- ما وراء الخير والشر-، ترجمة: عقيل الشيخ حسين، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، 2008م: 239-241.

[2] بلميهوب، هند، القراءة الحداثية للقرآن الكريم، محمد أركون أنموذجاً: 209.

[3] المصدر السابق: 151.

[4] أركون، محمد، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني: 159.

ويعتبر أركون قصة الفتية الذين هربوا ليحافظوا على دينهم (أهل الكهف) منفصلة عن السياق السردي السابق لها واللاحق، ويزعم أركون أن المفسرين التقليديين اعتبروا القصة الحقيقية تاريخية بأشخاصها ووقائعها، ثم تأتي القصة الثانية بين موسى والنبي، وبين فتى موسى ويوشع، التي وردت في عبارة مجمع البحرين، فقد حاكوا حوله قصصاً خارقة للطبيعة ومبالغاً فيها. وساعد على هذا التهويل استخدام القرآن للفظة (عجباً)"[1]، ثم تأتي القصة الثالثة، والتي تتحدث عن ذي القرنين، يزعم أركون أنها بطل الحكاية الثالثة الواردة في سورة الكهف شخصية مشتقة من شخصية الإسكندر المقدوني، لكن التحورات التي أدخلت على الشخصية طمست صورتها التاريخية الحقيقية، وأسبغت عليها طابعاً أسطورياً ينسجم مع المخيال العام[2].

إذ يرى أركون أنّ الخطاب القرآني عندما يتعرّض لذكر واقعة أو حادثة فإنّه "يطمس معالمها ويحوِّر إحداثياتها الزّمكانية، ويحجبها فلا يعود لها من وجود ولا أثر، لكي يخلع عليها صفة التّعالي والتّسامي، فتصبح وكأنَّها لا علاقة لها بأيّ زمان أو مكان محدّد، فتصبح شيئاً رمزيّاً يتجاوز التّاريخ ويعلو عليه"[3].

تحليل أركون لسورة الأحزاب:

ويسرد أركون وبدهشة قصة زواج النبي ﷺ من امرأة زيد بنت (وحش) فبعد أن لمحها صدفة وقع في حبها ورغب في الزواج منها[4]، ثم يحيلنا إلى الحكاية في سورة الأحزاب.

وهنا خطأ واضح وفادح وقع فيه أركون في لقب السيدة زينب، فهي زينب بنت جحس لا وحش، وهي معلومة معروفة للخاص والعام لدى المسلمين.

ونواصل تتبع عرضه لهذه القصة، حين تحولت دهشته هذه المرة إلى ذهول، إذ يعقد مقارنة بين حياة المسيح عليه السلام وحياة الرسول ﷺ، ومكمن الذهول يكمن في افتقاد الأناجيل لمثل هذه الحكايات، فلا يوجد لهذه الحكاية شبيه في الأناجيل، ولا يوجد جنس أو إغراء جنسي، عكس وخلاف حياة الرسول، فقد كانت له حياة جنسية كثيفة وغزيرة[1].

---

[1] المصدر السابق: 165.

[2] أركون، محمد، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني: 166.

[3] أركون، محمد، الفكر الإسلامي: قراءة علمية، 97.

[4] أركون، محمد، التشكيل البشري للإسلام، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الاولى، 2013م: 234.

وقوله يوحي بأن القرآن يحوي حكايات وحكايات عن حياة الرسول الخاصة والمليئة بقصص الجنس، وهو رأي مبتذل خال من الصحة، إذ كل الروايات تبين حسن معاشرة الرسول لزوجاته، دون التركيز على الجانب الغريزي.

ويواصل تحليله مدهوشاً مذهولاً، وهذه المرة نجده حساساً للأثر العجيب المدهش"لأن الله يتدخل شخصياً لحل المشكلة ويبارك هذا الحب بطريقة إيروتيكية[2] من قبل التراث الإسلامي، هذا التراث الذي يروي القصة بإسهاب مستفيض، عندما تقول الرواية مثلاً: (وبد لمحها عبر الباب)... هناك تفاصيل أخرى تزيد القصة عاطفية أو جنسية ولكنها ليست موجودة في القرآن، وإنما فقط في التراث الإسلامي اللاحق"[3].

وفي هذه النقطة انتقل افتراؤه من القرآن إلى التراث الإسلامي، ولم يذكر أصلاً أن التفاسير والروايات تنفي صحة هذه القصة، بل اتخذ هذه الآية مطية يصل بها إلى غايته ومرماه، وأراد أن يصيب عصافير بحجر واحد[4].

تحليل أركون لسورة العلق:

يذكر أركون أن سورة العلق توحي بالموضوعات الكبرى للوحي، ولكيفية التركيبة اللغوية، ويلاحظ أركون في الخطاب القرآني توتراً بين الله وبين الإنسان[5]، والمقصود بالوحي أن يقود الإنسان ويهديه إلى الصراط المستقيم الذي يقود في النهاية إلى النجاة الأبدية في الدار الآخرة.

وفي تفصيله لمفهوم الوحي الذي وصلنا عبر المرويات الأدبية في التراث الديني – في إشارة إلى الأحاديث المتواترة عن نزول الوحي مع الملك جبريل- حيث يعدُّها أركون روايات أدبية.

ويرى أركون أن القصص تبين العلاقة القوية بين تفاسير القرآن وبين المخيال الديني الذي ساد طيلة القرون الثلاثة الأولى للهجرة، مشيراً إلى أن معنى العجيب المدهش، أو الخارق للعادة، منتشر في جميع هذه القصص، وهكذا"نلاحظ أن تصور

---

[1] أركون، محمد، التشكيل البشري للإسلام: 87.

[2] إيروتيكية: مأخوذة من كلمة إيروس ويقصد بها إله الحب عند اليونان، تعبر عن رغبة شديدة في الاستحواذ والتملك وهي في الأغلب جنسية، وقد توسع فرويد في استعمالها. [ينظر: إبراهيم مدكور وآخرون، المعجم الفلسفي: 29].

[3] أركون، محمد، التشكيل البشري للإسلام: 88-90.

[4] بلميهوب، هند، القراءة الحداثية للقرآن الكريم، محمد أركون أنموذجاً: 238-239.

[5] أركون، محمد، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني: 31.

الوحي لا يزال مهيمناً عليها من قبل هذا المعنى الخارق للعادة، بصفته الأرضية الثقافية القاعدية، التي ترتكز عليها المعرفة الأسطورية التي يدعوها المؤمنون بالحقيقة الدينية"[1].

وهنا يأتي دوره كباحث أنثروبولوجي فقد سطر جهوده في تفكيك هذه البنى بالحفر والتنقيب عن العمليات النفسانية والثقافية الناتجة عن تأثير الوحي، وبذلك يحاول تبيين هذه العلاقة القوية بين التفسير القرآني الموروث، وبين المخيال الديني السائد، وما وصلنا على أنه حقيقة دينية ليس إلا أساطير وشعائر مزروعة في ثقافات الشعوب.

هذه هي نتائج التحليل الأنثروبولوجي الأركوني فقد اختار مفهوماً من المفاهيم المقدسة (الوحي) وأبعده عن دائرة البحوث التيولوجية لعزله؛ ثم ألغى معناه الشائع واضعاً إياه تحت مبضع التفكيك والحفر والتنقيب، عبر رؤية أنثروبولوجية تحيله إلى دائرة الشك ليدخله عالم المعتقدات الخرافية المهيمنة على ثقافة المجتمع، وهذا هو سبب اختياره لسورة العلق، لا لأنها أول الهدى وبداية النور الإسلامي، ولا يكونها أول وحي ينَزَّل على الرسول ﷺ، وإنما اختارها لكونها تمثل تصوراً من التصورات الخارقة للعادة التي لا تخرج عن المعارف الأسطورية التي تجذرت عند المؤمنين بكونها حقيقة دينية ولا سبيل إلى تغيير رؤى المجتمعات المعاصرة إلا بزحزحة الصورة المسيطرة على مخيالهم الديني حول ركيزة أساسية هي الوحي[2].

ويرى أركون أن القرآن ظلم المشركين وقسا عليهم دون مبرر قائلاً: "نلاحظ أن وصف المعارضين يختزل إلى كلمة واحدة هي(المشركون) لقد رُمُوا كلياً ونهائياً وبشكل عنيف، في ساحة الشر والسلب والموت دون أن يقدم النص القرآني أي تفسير أو تعليل لهذا الرفض والطرد"[3].

وهكذا يخضع أركون النص القرآني لأهوائه وآرائه الشخصية التي يحاول أن يجد لها انعكاساً في القرآن عبر إخضاع النص القرآني لإكراهات المنهج عبر ممارسة انتقائية فجة وواضحة؛ فيختار الآية وينتزعها من سياقها؛ ليسقط عليها نتائج قد أعدّها مسبقاً، وهو مايتنافى مع أخلاقيات الباحث المسلم والناقد والأستاذ الأكاديمي.

---

[1] المصدر السابق: 30.

[2] بلميهوب، هند، القراءة الحداثية للقرآن الكريم، محمد أركون أنموذجاً: 212-213.

[3] أركون، محمد، الفكر الإسلامي: قراءة علمية: 96.

ويرى أركون أن في القرآن الكريم مغالطات تاريخية، وأخطاء في تصوير الواقع إذ يقول: "ينبغي القيام بنقد تاريخي لتحديد أنواع الخلط والحذف، والإضافة، والمغالطات التاريخية؛ التي أحدثتها الروايات القرآنية بالقياس إلى معطيات التاريخ الواقعي المحسوس"[1].

الخاتمة:

يظهر من خلال ما سبق أن كل هدف أركون من الدّراسة الألسنية السيميائية للقرآن هو الوصول إلى تاريخية النصّ المقدّس، ويسعى كالأفعى إلى زحزحة القناعات المتعلّقة بالوحي والتّدوين الشّفوي والكتابي، لأنّ المصحف نصٌّ بينما القرآن كلام في نظر، أي ضرورة التّمييز بين الشّفوي والكتابي.

فالمصحف حسب أركون هو عبارة عن مجموعة من "العبارات الشّفهية في البداية ولكنّها دوّنت في ظروف تاريخية لم توضح حتّى الآن، أو لم يكشف عنها النّقاب، ثم رفعت هذه المدوّنة إلى مستوى الكتاب المقدّس بواسطة العمل الجبّار والمتواصل لأجيال من الفاعلين التّاريخيين[2]، اعتبر هذا الكتاب بمثابة الحافظ للكلام المتعالي لله والذي يشكّل المرجعية المطلقة الإجبارية التي ينبغي أن تتقيّد بها كلّ أعمال المؤمنين وتصرّفاتهم وأفكارهم"[3].

ثم يفضّل أركون أن يدعو المصحف "بالنصّ الرّسمي المغلق، والذي استهلكته الأمّة المفسّرة، وعاشت عليه طيلة قرون وقرون، وسوف تستهلكه أيضًا طيلة فترة مقبلة لا يعرف إلا الله مداها بصفته تنزيلاً، أي وحيًامعطى يلغي أو يبطل المكانة الأولى التي عرَّاها المؤرخ أو كشف عنها النقاب. وهو يلغيها من خلال التأويل والحياة المعاشة"[4].

---

[1] المصدر السابق: 203.

[2] ويقصد بالفاعلين التّاريخيين هنا المسلمين أو المؤمنين، ولكن أركون لم يستخدم هذين المصطلحين الإسلاميين لكي يبقى حيادياً، ونفهم من كلامه أن المدونة النصية -كما يحلو له وسم القرآن- قد وصلت إلى مرتبة القداسة عن طريق العمل الجماعي والمتواصل لأجيال متتالية، فإنجاز المصحف تم بشكل جماعي.

[3] أركون، محمد، الفكر الأصولي واستحالة التّأصيل: 41.

[4] المصدر السابق: 57.

ويحتج أركون على تنصيب القرآن مرجعًا أعلى ونهائيًّا للبشر، وجعله يحتوي على الأجوبة والحلول النّهائية للأسئلة التي يطرحها المسلمون في كلّ زمان ومكان، فهو يُخْضِعُ النصّ القرآني بذلك لمحكّ النّقد التّاريخي المقارن، وللتّحليل الألسني، وللتّأمّل الفلسفي المتعلّق بإنتاج المعنى[1].

حتى قال نادر المتروك: "ستكون الظاهرة الأركونيّة - بعد رحيل شخص أركون - إشعاراً بلزوم قراءة التراث بكلّ الطرق والمنهجيّات المتاحة، وبما يؤدّي إلى تحقيق التاريخانيّة الوظيفيّة التي تمثّل جوهر المشروع الأركوني، حيث كان يسعى لإعادة التموْضع التّاريخي للنصوص المؤسِّسة، وبالتّالي تأكيد ملازمتها للحدود الثقافيّة التي نشأت فيها وانطلاقاً منها، من غير أن يُغْفِل المدخل الإنتروبولوجي والاستفادة الميثولوجيّة وتعدّديّة المنهج القرائي، وهي الملامح التي وفّرت خصوصيّة فارقة في القراءة الأركونيّة للنصّ الإسلامي المؤسِّس، القرآن الكريم، وأتاحت له استحضار المعاني الروحيّة والأخلاقيّة في صُلب المساجلة العلمانيّة"[2].

ولما كان من الواجب الشرعي القيام بالدفاع عما ألصق بالإسلام، وإظهار تلك الأخطاء، وإبراز هاتيك الأهداف المشبوهة لأركون، كان هذا البحث تنبيهاً عليها لئلا يغتر بهذه المقولات غِرٌّ ممن انبهر بالأفكار الغربية الغريبة، وقد توصل البحث بعد هذه السياحة في فكر أركون إلى النتائج التالية:

1- أن دراسات أركون وصفية سردية، يهمل الجوانب المهمة في الفكر الإسلامي بل ربما شوهها.
2- أن مشروع أركون الفكري يعتمد على عنصرَيْ الحداثة والعلمانية، أما الحداثة فمصطلح غير واضح المعنى، إذ ليس له ضوابط ولا معايير، ويختلف مفهومه باختلاف المجتمعات، وأما العلمانية فهناك تناقض في ترجماتها المختلفة.
3- أن أركون وقع في كثير من المغالطات والتهويلات في مواقفه وأحكامه، لمبالغته في الاعتداد بنفسه.
4- أن أركون اعتمد المراجع الاستشراقية غالباً، وأهمل المصادر الإسلامية، وهذه من الأخطاء المنهجية في الكتابة العلمية، فضلاً عن عدم التوثيق في مواضع عديدة من مصنفاته.

[1] الطالب، إبراهيم، الحداثيون والقرآن الكريم: محمّد أركون نموذجًا، جريدة السبيل المغربية، العدد 113، بتاريخ: 16 ديسمبر 2011م.
[2] المتروك، نادر، رحيل أركون إشعار بلزوم قراءة التراث بمختلف المنهجيات المتاحة، جريدة الوسط الإماراتية، العدد 2939 بتاريخ: 23 سبتمبر 2010م، الموافق 13 شوال 1431هـ.

5- أن أركون وقع في إشكالات فكرية كثيرة ومثيرة لتأثره بأفكار المستشرقين، وتعصبه لفكرهم، ولقلة معرفته بمنهج نقد الخبر عند المحدثين.

6- أن أركون يضع أمام ناظريه نموذج الحضارة الغربية بعجرها وبجرها، لذا يتحدث عن أرثوذكسية الإسلام، ويمهد للحديث عن بروتستانتية إسلامية ما دامت الظروف نفسها متوفرة.

7- أن أركون يسعى كالأفعى لضرب الإسلام بالإسلام، بواسطة جملة من الوسائل، منها: الدعوة إلى تجديد الإسلام وعصرنته، والتشكيك في ثوابت الإسلام.

8- أن أركون يزعم ويُصِر على زعمه بأن في الإسلام علمانية لاتُضاد الدين، وعلمانية تفصل بين الديني والسياسي في الإسلام.

9- يطلق أركون اسم (المدونة النصية) على القرآن، و(المنطوقات) أو (العبارات النصية) لتدل على الآيات، و(النصوص القصيرة) لتدل على السور، ويهدف أركون من ذلك إلى تحييد القداسة عن القرآن وسوره وآياته.

10- ويستخدم أركون مصطلح (الظاهرة القرآنية) ويقصد بها القرآن الكريم؛ وذلك من أجل تفكيك مفهوم الوحي ونقده.

11- ويرى أركون أن العقل الإسلامي تكوَّن ضمن بيئة محددة زمانياً وهو غير صالح لكل زمان ومكان، وهو بذلك يهدف إلى أرخنة القرآن.

12- ويدَّعي بأن القرآن الكريملم يثبت في عهد عثمان بن عفان ﷺ بل بقي الجدل في آياته ثبوتاً ونسخاً وحذفاً وسقطاً حتى القرن الرابع الهجري.

13- ويدَّعي أن قداسة القرآن حدثت نتيجة لأسباب سياسية وثقافية وتلاعبات فكرية، وأن هذه التلاعبات لا يمكن كشفها وتبيين زيفها إلا من خلال النقد.

14- أنّ الخطاب القرآني عندما يتعرّض لذكر واقعة أو حادثة فإنّه يطمس معالمها ويحوِّر إحداثياتها الزّمكانية وأن في القرآن مغالطات تاريخية، وأخطاء في تصوير الواقع.

15- ويرفض جميع التفاسير الموروثة، ويصرح بأنه يحلم بالقراءة المعاصرة، وهي قراءة حرة إلى درجة التشرد والتسكع في كل الاتجاهات.

المصادر والمراجع:

أولاً: الكتب:

1- أركون، محمد، الفكر الأصولي واستحالة التّأصيل: نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، 1999م.

2- أركون، محمد- مايلار، جوزيف، من منهاتن إلى بغداد- ما وراء الخير والشر-، ترجمة: عقيل الشيخ حسين، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، 2008م.

3- أركون، محمد، الإسلام: الأخلاق والسّياسة، ترجمة وتحقيق: هاشم صالح، دار النهضة العربية للطباعة والنّشر والتّوزيع ومنشورات مركز الإنماء القومي، بيروت، 1990م.

4- أركون، محمد، الإسلام، أوربا، الغرب: رهانات المعنى وإرادات الهيمنة، ترجمة: هاشم صالح، بيروت، دار الساقي، الطبعة الثانية، 2001م.

5- أركون، محمد، العلمنة والدين: الإسلام، المسيحية، الغرب، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1996م.

6- أركون، محمد، الفكر الإسلامي قراءة علمية، ترجمة هاشم صالح، المركز الثقافي العربي ومركز الإنماء القومي، بيروت، الطبعة الثانية، 1996م.

7- أركون، محمد، الفكر الإسلامي: نقد واجتهاد، (فيصل التفرقة إلى فصل المقال)، ترجمة: هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، الطبعة الثانية، 1992م.

8- أركون، محمد، القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني، ترجمة: هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى، 2001م.

9- أركون، محمد، الهوامل والشوامل حول الإسلام المعاصر، ترجمة هاشم صالح، دار الطليعة، بيروت، 2010م.

10- أركون، محمد، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، الطبعة الثانية، 1995م.

11- أركون، محمد، أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟، دار الساقي، بيروت، 1993م.

12- أركون، محمد، تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، بيروت، الطبعة الثانية، 1996م.

13- أركون، محمد، قضايا في نقد العقل الديني، كيف نفهم الإسلام اليوم؟، ترجمة: هاشم صالح، بيروت، دار الطليعة، الطبعة الثالثة، 2004م.

14- أركون، محمد، من الاجتهاد إلى نقد العقل الإسلامي، ترجمة هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، الطبعة الأولى، 1991م.

15- أركون، محمد، التشكيل البشري للإسلام، المركز الثقافي العربي، بيروت، الطبعة الاولى، 2013م.

16- بدوي، عبد الرحمن، دفاع عن القرآن ضد منتقديه، ترجمة: كمال جاد الله، الدار العالمية للكتب والنشر، د. ت.

17- بلمهوب، هند، القراءة الحداثية للقرآن الكريم، محمد أركون أنموذجاً، أطروحة دكتوراه قدمت في جامعة الجيلالي اليابس/ سيدي بلعباس، 2015م.

18- بوعود، أحمد، الظاهرة القرآنية عند محمد أركون: تحليل ونقد، منشورات الزمن، الكتاب الثامن والعشرون، الرباط، 2010م.

19- حرب، علي، نقد النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، الطبعة الرابعة، 2005م.

20- شرابي، هشام، النقد الحضاري للمجتمع العربي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، 1990م.

21- صياد،ليندة، إعادة قراءة النص القرآني وفق مقاربات محمّد أركون، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، بتاريخ: 04/07/2014م.

22- ضاهر، محمد كامل، الصراع بين التيارين الديني والعلماني في الفكر العربي الحديث، دار البيروني، بيروت، 1994م.

23- الطالب، إبراهيم، الحداثيون والقرآن الكريم: محمّد أركون نموذجًا، جريدة السبيل المغربية، العدد 113، بتاريخ: 16 ديسمبر 2011م.

24- الطوالبة، محمد، المنظور التأويلي في أعمال محمد أركون، رسالة دكتوراه في الجامعة الأردنية، نوقشت عام 2012م.

25- العروي، عبد الله، مفهوم الدولة، المركز الثقافي العربي، الدر البيضاء.

26- العيسمي، شبلي، العلمانية والدولة الدينية، دار الشؤون الثقافية العامة، آفاق عربية، بغداد، 1986م.

27- كالو، محمد محمود، القراءات المعاصرة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير، دار اليمان، سورية، الطبعة الأولى، 2009م.

28- اللاوندي، سعيد، عبدالرحمن بدوي فيلسوف الوجودية الهارب إلى الإسلام، مركز الحضارة العربية، القاهرة، الطبعة الأولى، 2001م.

29- يوسف، عبدالسلام محسن، تأويلات الحداثيين لآيات الأحكام"حد السرقة أنموذجاً"، اسطنبول، SonÇAG، 1442هـ2020م.

ثانياً: الدوريات:

30- الراشد، رائد أمير عبد الله، إشكالية الخطاب العلماني في التراث العربي الإسلامي أركون نموذجاً، مجلة دراسات إسلامية معاصرة، كلية العلوم الإسلامية، كربلاء، العدد الأول، 1/1/2010م.

31- المتروك، نادر، رحيل أركون إشعار بلزوم قراءة التراث بمختلف المنهجيات المتاحة، جريدة الوسط الإماراتية، العدد 2939 بتاريخ: 23 سبتمبر 2010م، الموافق 13 شوال 1431هـ.